الباب السادس

صور مِن الحضارة الماديَّة في أمريكا
(راعيَّة الديمقراطيَّة)، والغرب المتحضِّر

• **الفنان الأمريكي: «أندريه سيرانو»** تعود شُهرته إلى لوحة بعنوان: «**فلتَتَبوَّلْ على المسيح**» حيث وضع الفنان صورة المسيح على الصليب في البول (والمسيح عليه السلام منه براء).

• **الفنان الأمريكي المصور: «جويل بيتر ويتكين»**، وقد أبدَعَ في صورتين: **الأولى**: جنين مُشَوه وقد تم تثبيته على صليب، ورجل بلا رأس يجلس على كرسي. وحينما تقيَّأت إحدى المدعوَّات في افتتاح أحد معارضه. قال الفنان: «إن إحدى علامات المرأة الجميلة، أنها تحتفظ بجمالها حتى حينما تتقيَّأ».

• ولقد سبق أن ذكرنا أنه في عام ١٩٧٧م انقطع التيار الكهربائيُّ عن نيويورك بضع ساعات، وبدأ الناس بِيْضًا وسُودًا، يتحرَّكون كالقطيع، ويقومون بنهب كل ما تقع عليه أيديهم دون سبب واضح، بما في ذلك السيِّدات مِنَ الطبقات الثريَّة البيضاء كن يشتركن في كرنفال السرقة.

• من ثمرات العقل الماديِّ ما يُسَمَّى «**الترشيد**»، أي: محاولة توظيف الوسائل بأحسن السُّبُلِ في خدمة الغايات، أيِّ غايات.

وهذا يعني أنْ يتعلَّم الإنسان كيف يبني جسرًا، ولا يهمُّ إلى أين سيؤدي (إلى الجنَّة أم إلى الجحيم؟) المهمُّ هو طريقة بناء الجسر، مما يؤدِّي إلى عقلانيَّة «**الوسائل**» كيف تقتل؟ لا عقلانيَّة الغايات: لِمَ تقتل؟ ألم يستخدم المجتمعان «النازيُّ والصهيونيُّ» العلم والتكنولوجيا بكفاءة غير عاديَّة في القتل والاعتداء؟!.

• لا توجد أيَّة ضمانات للعاملين في أن يستمرُّوا في وظائفهم، إذ يمكن أن يصل أيًا منهم خطابٌ في أيِّ لحظة يخبره بالاستغناء عن خدماته، لذلك فهم في قلق دائم، الأمر الذي يزيد من إنتاجيتهم، ففي اعتقادهم أنَّ الإنسان السعيد المتَّزن مع نفسه تقِلُّ إنتاجيَّته بعض الشيء، إذ تصبح أهدافه في الحياة إنسانيَّة!.

• رشَّحت إحدى نجوم البورنو (الأفلام الإباحيَّة) نفسها لعضويَّة البرلمان الإيطاليِّ، وكانَ برنامجها الانتخابيُّ يتلخَّص في خلع ملابسها قطعة قطعة أمام السادة الناخبين، ويبدو أنَّ هذا البرنامج الانتخابيَّ له فعاليَّة فائقة في بلد دافيء مثل إيطاليا إذ نجحت

نجمة البورنو في الانتخابات!

• في أمريكا سنة ١٩٧٢م كانَ عدد الشواذِّ يزيد على أربعة ملايين شاذٍّ (فكم صار عددهم الآن عام ٢٠٠٩؟!).

ويوجد لهم بعض الكنائس التي يديرها وُعَّاظ شاذُّون، مثل: كنيسة لوس أنجلوس، وقد أُنشيء معبد يهوديٌّ للشواذِّ «**بل ويشيفاه**» مدرسة تلموديَّة لتخريج الشواذِّ!!

• «في أمريكا مِنَ الفترة من عام ١٩٦٣م حتى عام ١٩٩٠م، بعد اتفاقها مع روسيا بعدم إجراء أيِّ تفجيرات لأسلحة نوويَّة في الفضاء، أجرت الولايات المتحدة (٢٠٤) تجربة نوويَّة تحت الأرض، ولم تعترف بأيٍّ مِنْ هذه التجارب علنًا، كما عرَّضت الوكالة نحو ستمائة مواطنٍ أمريكيٍّ للإشعاع مِنْ خلال بعض التجارب التي تهدف إلى قياس الإشعاع، كما تمَّ حقن عشرة مواطنين بالبلوتونيوم بدون موافقتهم، ويستمرُّ ميراث الحدث، فلا يزال نحو (٢٤) طنًا متريًّا من البلوتونيوم الخاصِّ بصنع قنابل نوويَّة مخزَّنًا في ستِّ ولايات، ويوجد ما يقرب مِنْ ستة ملايين رطلٍ مِنَ النفايات المشعَّة في أحواض تتسرَّب منها النفايات»[١].

• يقول **فاكيلاف هافل** رئيس جمهوريَّة التشيك عن الأسباب التي أدت إلى هيمنة العقل الماديِّ: «هذا الوضع؛ لأننا نعيش في أول حضارة ملحِدة في التاريخ البشريِّ، وحينما أعلنت الإنسانيَّة أنها الحاكم الأعلى للعالم، في هذه اللحظة نفسها، بدأ العالم يفقد بُعدَه الإنسانيَّ!».

• نظريَّة الأمْن الإسرائيليَّة استندت إلى إدراك المكان، الحدود الآمنة، وخط بارليف، والجدار العازل، دون إدراك الزمان، والتاريخ، ومقدرة الإنسان على النهوض.

إنهم لم يدركوا أنَّ الإنسان العربيَّ يمكن أن يستيقظ لتجاوز حسابات الحواسِّ الخمس، ويُعبِّر عن إمكاناته الإنسانيَّة والماديَّة.

• نحن نحارب الصهاينة ليس لأنهم يهود؛ لأنَّ الدولة الصهيونيَّة ليست دولة يهوديَّة،

---

(١) مجلة «نيوزويك» في ديسمبر ١٩٩٣ على لسان وزيرة الطاقة الأمريكيَّة «**هازل أوليري**».

إنما هي دولة استيطانيَّة مغتصِبة محتلَّة، ظَالِـمَة، فقد اغتصبوا أرضنا، وطردوا سكَّانها.

• حضارة الإسلام ليست حضارة بدو رُحَّلٍ كما يروِّج البعض، لكنها أساسًا حضارة مدن بدأت من مكة، ثم المدينة، ثم توالت بعد ذلك المدن (دمشق ـ بغداد ـ قرطبة ـ القاهرة ـ غرناطة ...). والإنسان هو محور حضارتها. قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ**﴾ [البقرة: ٣٤].

• «إن شرط نمو الغرب إنما كان بالضرورة وليد نهب ثروات العالم الثالث، ونقلها إلى أوربا وإلى أمريكا الشماليَّة، فالغرب هو الذي جعل ما نسميه العالم الثالث متخلِّفًا، إنَّ هذه الحضارة خلقت قبرًا يكفي لدفن العالم» «**روجيه جارودي**».

« **مِنْ قصيدة بدر شاكر السيَّاب موجِّهًا حديثه إلى مدينة لندن بريطانيا** »

مـاذا أكـتـب يـا مـديـنـة * فعلى ملامحك العجاف تجوب أخيلة الضغينة**

سـأقـول إنـك تـوقـديـن * مصباح عارك من دم الموتى وجوع الآخرين**

• إذا لم يقترن العالم بالضمير أدَّى ذلك إلى خراب النفس.

• في المجتمع المدنيِّ الأمريكيِّ يُصيبك الذُّعر من هؤلاء الأمريكيِّين، وهم يودِّعون أمهاتهم وآباءهم في بيوت العجزة، فعندما تبلُغ سِن الخامسة والخمسين فأنت لا تقطن مع ابن من أبنائك، كما أنك لا تعيش في منزل بمفردك؛ لأنه سيكون مكلِّفًا وكبيرًا، تجلس في دار المسنِّين تنظر إلى التليفزيون بقيَّة أيام عمرك.

• قارنتُ بين بيوت المُسنِّين ومعسكرات الاعتقال النازيَّة، فكلاهما يضمُّ بشرًا يرى المجتمع أنهم غير منتجين (أفواه تستهلك ولا تنتج)، يتم القضاء على المسنِّين في الغرب بالتبريد (التكييف)، ويتم إبادة نزلاء معسكرات الاعتقال النازيَّة بالتسخين (أفران الغاز).

• هذه الحضارة الأمريكيَّة «**المعادية للحضارة والتاريخ**» قد يُقدَّر لها السيطرة على بعض المجتمعات، وخاصة تلك التي قد قطعت صلتها بتراثها القوميِّ والدينيِّ، وخلقت فراغًا

حضاريًّا لا يمكن أنْ تزدهر فيه سوى القيم الماديَّة الأمريكيَّة «**حضارة الماديِّين النفعيِّين**».

• ما جاذبيَّة النموذج الغربيِّ؟ ما الذي يجعلنا نتبنَّاه، ونحن نعرف تكلفته الإنسانيَّة العالية؟ هل يجب أنْ نأخذ المخدِّرات مع الكمبيوتر؟ وفلسفات العبث والعدميَّة مع وسائل الانتقال السريعة؟ إننا إذا سرنا في نفس الطريق وارتكبنا نفس الأخطاء فلن نكون أبطالًا ولا مأساويِّين، وإنما سنكون مهرِّجين لا نستحقُ حتى العطف أو الرثاء!

• فهل دقَّق الذين يختارون الطرق والمناهج الغربيَّة للوصول إلى المطمح الأسمى، وإقامة الدولة الإسلاميَّة العصريَّة الحديثة تدقيقًا علميًّا منهجيًّا، وفكَّروا تفكيرًا سليمًا بعقول عربيَّة إسلاميَّة تُرشِدُهم إلى الحقِّ والحقيقة؟!

• ألا يعلم هؤلاء، والذين لهم أدنى إلمام بعلوم العصر والعمران أنَّ الدولة لا تتكوَّن ولا تنشأ بالطرق الصناعيَّة، فليست بالتي تُصنَعُ في مصنع ثم تُنقلُ منه وتثبَّتُ في موضع آخر، بل إنها تنشأ في المجتمع نشوءًا طبيعيًّا لأسباب عقديَّة وأخلاقيَّة ونفسيَّة وعمرانيَّة وتاريخيَّة، وتفاعل هذه الأسباب فيما بينها، تحت قيادة واعية مستفيضة عادلة، وأناس لديهم الحرص والعلم والفهم والعزيمة والهمَّة لإقامة دولة متميِّزة رائدة، فإذا تجمَّعت هذه العوامل في ظلِّ منهج معتدل مستقيم، وتفاعلت مع بعضها علا شأنها، وقوي أمرها بعد مِراس وصبر عظيم.

• ولن تقوم دولة الإسلام القويَّة الفتيَّة إلَّا مِنْ خلال حاكم يتَّبع الرسول فيما جاء به مِنَ الشَّرع، والقانون الأول مِنْ عند ربه جلَّ وعلا، ثم ينظر إلى تشريعات وقوانين منضبطة بهذا القانون الأول، شريطة ألَّا يستعبد الناس، أو يأمرهم بالخنوع، أو يضرب عليهم ضرائب فادحة ليبنيَ بها القصور والمباني الشاهقة له ولذويه والمقرَّبين إليه، ولا يستغلُّ هذا المنصب ومَنْ ينصِّبه في حكومة أو وزارة أو هيئة للانغماس في ملذَّات الحياة واتباع الشهوات، أو الخيانة، أو الجباية.

• بل إنَّ الأمر يتطلَّب رجالًا يخشون الله ﷻ، ويخافون حسابه، ويؤثرون الآخرة على

الدنيا، لم يتَّخِذوا مِنْ أغراضهم القوميَّة والشخصيَّة والشهوات سلطانًا عليهم، طهَّروا أنفسهم مِنْ ضيق النظر والتعصب الأعمى، لا يلهيهم عن العمل بالشريعة شيءٌ مِنْ مطامع الدنيا، ولا تصرفهم عن ذلك العقبات والشدائد، ولا تأخذهم نشوة الكبرياء إذا آتاهم الله نصيبًا مِنَ المُلك والسلطان، لا يمدُّون أعينهم إلى زهرة الحياة الدنيا ونعيمها وحُبِّ الجاه والسلطان، إذا امتلكوا كانوا أمناء، لتكون الرعيَّة في مأمن وأمان على أنفسها وأموالها وأعراضها، سُمعَتُهُمْ حسنة، وكلمتهم مسموعة في السياسة الداخليَّة والخارجيَّة بين الأمم. تغبطهم الأمم على حبِّهم للحقِّ والعدل، وتثق في الوفاء بعهودهم ومواثيقهم ورعايتهم للذِّمَمِ.

• أمَّا أصحاب الطِّباع الفاسدة، والذين في قلوبهم مرض ممن يتَّبعون الشهوات والأهواء فسوف تختفي أصواتهم، ويضمحل نفوذهم شيئًا فشيئًا عند ظهور الحق وإقامة العدل، وينزوي أصحاب الأخلاق المنفعيَّة وفلسفة الذرائع والأماني المعسولة؛ لأنَّ الزعامة التي لا تهتم إلَّا بالنفع العاجل، ولا تنظر في مصالح قومها، ولا تنتهج كل منهج يعود بالنفع على شعبها، وتنبذ مبادئها وأصولها وراء ظهرها إذا رأت فائدة عاجلة فيما يناقضها، ولا يُرى عليها سجيَّة مِنْ تقوى الله تعالى، والأخلاق الزكيَّة، فلن تقوى أو تصلح للوصول إلى الغاية السامية الجليلة التي تتطلع إليها الشعوب العربيَّة والإسلاميَّة.

• يقول الأستاذ **أبو الأعلى المودودي** رحمه الله: «هذا الكون الذي نعيش فيه، ونتنفس لا يجري أمره مِنْ غير سلطان قاهر، بل له ملك هو الله ﷻ الحاكم المتصرف في شئونه كيف شاء، ولا نقدر أو نتمكَّن مِنْ الخروج عن حدود ملكوته وسلطاته وحكمه، فما تبجُّح هذا الإنسان بالاستقلال إزاء هذه الحقائق الثابتة إلَّا ظن خاطئ، وغلطة حمقاء، عائد ضررها عليك، ولا يجني شرّها إلَّا أنت، فالعقل والفطرة والشعور بالحقيقة الواقعيَّة يقتضيان أنْ تطأطئ رأسك أمامه، جلَّت قدرته، وتعالى شأنه، وتكون له عبدًا قانتًا مطيعًا لأمره، منفِّذًا لحكمه، فلا تكن إلَّا عبدًا له وحدَه، ولا تأتمر إلَّا بأمره، ولا تسجد لأحد دونه، فإنه ليس هناك مِنْ صاحب جلالة، فالجلالة كلُّها مختصَّة بذاته ﷻ،

وليس هناك مِنْ صاحب قداسة، فالسموُّ لا يستحقُّه أحد مِنْ دونه، وليس هناك مِنْ صاحب سيادة، فالسيادة بأجمعها مقتبسة مِنْ شرفه، جلَّت قدرته، وعَظُم شأنه، ولا شارع مِنْ دونه، ولا يليق التشريع إلَّا بشأنه، ولا يستحقُّه إلَّا هو، مفاتيح الكبرياء والجبروت بيده، ولا علوَّ لأحد ولا سموَّ في هذه الدنيا إلَّا بمشيئته وقدره، فكن عبدًا لله قانتًا مستسلمًا لأوامره، وارفض كل نوع مِنْ أنواع العبوديَّة لغيره، وكل طاعة لمخلوق مقيَّدة بطاعته، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق جلَّ وعلا ».

❁ ❁ ❁

وقفة

لغتنا أو الهاوية (١)

• فرنسا تُنْفِق سنويًّا مئات الملايين من الدُّولارات لنشر الفرنسيَّة والفرنكوفونيَّة في أكثر مِنْ (١٣٤) دولة عبر العالم انطلاقًا مِنْ مبدأ: «أنَّ مَنْ يتكلَّم الفرنسيَّة يُفكِّر فرنسيًّا، ويأكل فرنسيًّا ويلبس فرنسيًّا»، وعبر المراكز الثقافيَّة الفرنسيَّة تحاول فرنسا أن تنشر الثقافة والقِيَم الفرنسيَّة، وهذا عن طريق توفير آخر الكتب والأعمال المنشورة لكِبَار المُفَكِّرين الفرنسيِّين فضلًا عن الأفلام والأشرطة والأغاني والجرائد والمجلات الفرنسيَّة، وتنظيم المحاضرات وغير ذلك من النشاطات الفرنسيَّة.

• ورغم الشبكة الكبيرة مِنَ المراكز الثقافيَّة (١٠٥٦ مركزًا ثقافيًّا فرنسيًّا) عبر (١٣٤) دولة في العالم، فإن الفرنسيَّة لم تستطع أنْ تفرض نفسها في الكثير مِنَ الدول التي تدَّعي أنها فرانكفونيَّة، وأصبحت النخب الثقافيَّة في المستعمرات

القديمة لفرنسا، وفي باقي دول العالم الثالث تتسابق على تعلم اللغة الإنجليزيَّة(*).

وقد بذل الوزير السابق للثقافة (جاك لانج) قصارَى جهده لحماية اللغة الفرنسيَّة، وذلك بإصدار قوانين وتشريعات تمنع استعمال الكلمات والمصطلحات غير الفرنسيَّة (مثل الإنجليزيَّة) التي طَغَت على الشارع الفرنسي.

وقد اتخذت الحكومة الفرنسيَّة قرارًا في مايو ١٩٩٤م يقضي بالعقوبة سجنًا أو تغريمًا ماليًّا يصل إلى ما يعادل ألفي دولار بحق كل مَنْ تثبت عليه جريمة استخدام غير الفرنسيَّة في الوثائق والمستندات والإعلانات المسموعة والمرئيَّة وكافة مكاتبات الشركات العاملة على الأرض الفرنسيَّة، وخاصَّة المحلات التجاريَّة والأفلام الدعائيَّة التي تُبَثُّ عبر الإذاعة والتلفاز، وأوضحت التصريحات حينها أن هذا القرار جاء لمواجهة هجمة اللغة الإنجليزيَّة التي أوصلتها الأقمار الصناعيَّة إلى البيوت الفرنسيَّة (**).

❁ ❁ ❁

(*) د. محمد قيراط. منظمة الفرنكوفونيَّة والبحث عن الفردوس المفقود. صحيفة البيان الإماراتيَّة بتاريخ ٦/١٠/٢٠٠٦م.

**) صحيفة الخليج الإماراتيَّة، العدد (٥٥٠٢) في ٦/٧/١٩٩٤م، ص (٩).

وقفة
لغتنا أو الهاويَة (٢)

● في اجتماع القمة الأوروبيَّة للاتحاد الأوروبي في ٢٣ مارس لعام ٢٠٠٦م وبحضور ٢٥ رئيس دولة، قال الرئيس الفَرَنسِيُّ جاك شيراك: «إنه شعر بصدمة حقيقيَّة دفعته إلى مغادرة اجتماع القمة الأوروبيَّة لدى سماعه مواطنه الفَرَنسِيَّ (أرنست أنطوان سيليه) رئيس لوبي الأعمال الأوروبي يلقي كلمته بالإنجليزيَّة، وقال الرئيس الفَرَنسِيُّ: إنه فضّل والوفد الفَرَنسِيُّ مغادرة القاعة على الاستماع إلى سيليه، مشيرًا إلى أن بلاده حاربت طويلًا لضمان التحدُّث بالفَرَنسِيَّة في المؤسَّسات والمنظَّمات الدوليَّة مِنْ الاتحاد الأوروبي إلى الأمم المتحدة إلى الألعاب الأوليمبيَّة، وأكد الرئيس الفَرَنسِيُّ أن ذلك «ليس مصلحة قوميَّة فقط لفرنسا، لكنها مصلحة الحوار والثقافة بين الثقافات فلا يمكن بناء عالم اعتمادًا على لغة أو ثقافة واحدة»(*).

أمَّا الرئيس ساركوزي فقد حدَّد موقفه بتصريحه: «أعتقد أنَّ شبكة (فرانس موند) العامة لا يمكن أنْ تكون سوى باللغة الفَرَنسِيَّة، وأنا لست على استعداد لاستخدام أموال دافعي الضرائب في تمويل شبكة لا تتحدث الفَرَنسِيَّة»(**).

فمتى ندفع عن لغتنا وواقعنا هذه المفردات الأجنبيَّة حفاظًا على هويتنا الثقافيَّة مِنَ الذوبان، خاصة إذا كانَ اللفظ الأجنبيُّ لا يقف عند حدوده اللغويَّة؛ بل يمتد ليشمل مضامين نشأت في بيئة مغايرة، وتتباين مع خصوصيَّات الأمم في معالجاتها.

(*) صحيفة الشرق الأوسط، العدد (١٠٦٨٧) ٢٠٠٦/٣/٢٥م الصفحة الأولى.
(**) شبكة ميدل إيست أون لاين ٢٠٠٨/١/١٠م.